

مفهوم الإرهاب الفكري في الفكر الإسلامي والعقلية الغربية

مقدمة:

يُعدُّ الإرهاب الفكري من أخطر أنواع الإرهاب، لأنه يقوم على تكميم الأفواه وقمع جميع الحريات الفكرية وغير الفكرية، ويخلق في عقل الفرد نوعاً من الخمول والموت الفكري، مما يؤدي إلى قمع الإبداع الفكري الفردي والاجتماعي، وينتشر الإرهاب الفكري في جميع أنحاء العالم وبصور ونسب مختلفة ومتفاوتة، ولكن ينتشر أكثر في الدول المنغلقة والمستبدة فكرياً، التي يغيب فيها الحوار والتفاهم، ويكون فيها المجتمع ضعيفاً ومهزوماً فكرياً.

وقد اختلف في وضع تعريف محدد و واضح لمفهوم الإرهاب، وذلك نظراً لاختلاف الأيديولوجيات والفلسفات الفكرية في دول العالم، ونتيجة لاختلاف العقائد الدينية بين المجتمعات البشرية، فكلُّ فلسفة وفكر معين يضع تعريفاً خاصاً لمفهوم الإرهاب، وذلك حسب ما يخدم مصالحه من جميع الجوانب والاتجاهات سواء أكانت سياسية أم فكرية أم اجتماعية أم اقتصادية وحتى الدينية منها، فهناك من يصنف بعض الأعمال التي تمارس على المستوى الفردي أو الاجتماعي إرهاباً، وهناك من ينظر لها على أنها أعمال مشروعة من حق الفرد أو المجتمع أن يقوم بها، ولا يصنفها إرهاباً، وبهذا يمكن القول: إنّ جميع دول العالم مهددة بخطر الإرهاب وبخاصة الفكري منه، نظراً لعدم الاتفاق على معنى محدد وواضح للإرهاب تتفق عليه جميع دول العالم وبجميع فلسفاتها وأفكارها و معتقداتها المختلفة، وإن الاختلاف وعدم الاتفاق على فكرة واضحة هو أساس الإرهاب الفكري، وهذا ما سوف يتبين لنا من خلال بحث مفهوم الإرهاب

م.م. علاء شنون مطر
كلية الفقه/ جامعة الكوفة

الفكري في الفكر الإسلامي والعقلية الغربية من حيث تعريفه وبيان أسبابه ودراسة مفهومه في الفكر الإسلامي والغربي وبحث الاتهام الموجه الى الدين الإسلامي بوجود علاقة ترابط بينه وبين الإرهاب نتيجة النظرة الخاطئة للدين الإسلامي فضلا عن التطبيق الخاطئ للإسلام ممن يحملون كثيرا من الأفكار المنحرفة والصور المشوشة عن الفكر الإسلامي.

وقد توزع البحث في أربعة مباحث ومدخل تناولت فيه مفهوم الإرهاب والفكر في اللغة والاصطلاح، أما المبحث الأول فقد تناولت فيه الإرهاب الفكري مفهومه وأسبابه، وتناولت في المبحث الثاني مفهوم الإرهاب الفكري في الإسلام، في حين تناولت في المبحث الثالث مفهوم الإرهاب في ضوء العقلية الغربية واختص المبحث الرابع بدراسة العلاقة بين الإرهاب الفكري والدين، وذيّلتُ البحث بخاتمة ذكرت فيها أبرز ما توصلتُ إليه.

مدخل: مفهوم الارهاب والفكر:

الإرهاب لغةً :

رهب: الرء والهاء والباء أصول: بعضها يدل على خوف والآخر على دقة وخفة. فالأول الرهبة، تقول: رهبتُ الشيء رهباً ورهباً ورهبةً. والترهب: التبعد. ومن الباب الإرهاب، وهو قدع الإبل من الحوض وزيادها. والأصل الآخر:

الرهب وهو الناقة المهزولة، والرهاب وهو عظم في الصدر مشرفاً على البطن مثل اللسان.^(١) والإرهاب بالفتح ما لا يصيد من الطير كالبغاث، والإرهاب بالكسر هو الإزعاج والإخافة، والإرهاب أيضاً قدع الإبل عن الحوض وزيادها. وقد أُرهب وهو مجاز، ومن المجاز قولهم: لم أُرهب بك أي لم أسترب^(٢). ورهب يرهبُ أي خاف، وترهَّب غيره إذا توعَّده. والرهبية: رجل صار راهباً يخشى الله، والرهبية: الخوف والفرع، والراهب: المتعبد في الصومعة، والرهبى: الناقة المهزولة جداً، والرهب: الجمل الذي استعمل في السفر حتى كلَّ وهزل، والرهبابة: طرف المعدة^(٣).

الإرهاب اصطلاحاً:

لا توجد كلمة أكثر إثارة للجدل واستخداما في مختلف وسائل الإعلام العالمية في السنوات الأخيرة مثل كلمة إرهاب. وبالرغم من الاستعمال الواسع النطاق للكلمة فإنه ليس هناك أدنى اتفاق حول تعريف دقيق ومحدد ومقبول من جميع الدول والجماعات والشعوب لمصطلح الإرهاب. ولذلك لم يعرف مصطلح الإرهاب في معناه الشائع اليوم إلا انطلاقاً من إطلاق الغرب لهذا المصطلح في العقود الأخيرة في سياق مبادرته إلى توظيف المصطلحات عن طريق الهيمنة على اللغة الإعلامية، فهو الذي يصوغ المفاهيم ويسوقها إعلامياً، ويبادر إلى نعت المسلمين

أجل تحرير بلدانها من سيطرة القوى الأجنبية وتقرير المصير الذي يعد عملاً مشروعاً بعكس الإرهاب الذي يعد في جميع أشكاله ومظاهره عملاً غير مشروع، لكن هذه الجهود لم تنجح في وضع تعريف موحد له^(٦). فقد وضعت له الدول العربية في وثيقة سُمّيت بالاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب التعريف الآتي: "كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيا كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم في أبنائهم أو تعريض حياتهم وأمنهم للخطر"^(٧).

وعرّفت الأمم المتحدة الإرهاب بأنه: تلك الأعمال التي تعرض للخطر أرواحاً بشرية بريئة أو تهدد الحريات الأساسية أو تنتهك كرامة الإنسان، في حين عرّفه المجمع الفقهي الإسلامي بأنه: عدوان يمارسه أفراد أو جماعات أو دول على الإنسان (دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه) ويشمل صنوف التخويف والأذى، والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبل، وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد، يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم أو حريتهم، أو أمنهم أو أحوالهم للخطر، ومن صنوف إلحاق الضرر بالبيئة، أو بأحد المرافق والأملاك العامة

بالإرهاب في سياق منظومة من المفاهيم الهجومية تبدأ بالتشدد إلى التطرف فالتعصب ثم إلى الأصولية فالإرهاب. ويتطرف الغرب أحياناً عندما يصف الإسلام ذاته بأنه يغذي كثيراً من أشكال العنف والإرهاب، في حين أن نصوصه القرآنية والحديثية صريحة في نبذ كل صور العنف وأشكال الإرهاب بالمفهوم الغربي للإرهاب^(٤). فقد جاء في قوله تعالى ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْهَ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنْ كَثُرُوا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمْ يُسْرَفُوا﴾^(٥)

كما جاء في كلام أمير المؤمنين (ع) في عهده لمالك الأستر (وأفضلهم حلماً من يبطئ عن الغضب، ويستريح إلى العذر، ويرأف بالضعفاء، وينبو عن الأقوياء، وممن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف). وقد اختلف في تعريف الإرهاب ولا يوجد حتى اليوم تعريف متفق عليه دولياً للإرهاب وذلك لأسباب تتعلق بتباين المصالح واختلاف المعايير والقيم بين الدول، لذلك حاول كثير من أساتذة القانون والعلوم السياسية والأمنية أن يضعوا تعريفاً محدداً للإرهاب فضلاً عن محاولة بعض المنظمات الدولية والإقليمية ومجموعة الدول الإسلامية ودول عدم الانحياز تعريف الإرهاب والتفرقة بينه وبين نضال الشعوب من

وهو كذلك أسمى صور العمل الذهني بما فيه من تحليل وتركيب وتنسيق^(١٢).

المبحث الأول: الإرهاب الفكري مفهومه وأسبابه:
الإرهاب الفكري: هو نشاط يستهدف إفساد المعتقد، أو السلوك باستخدام الوسائل والأساليب المعنوية، يخل بالأمن العام^(١٣).

ويعرف تعريفاً آخر بأنه نوع من أنواع الأيديولوجية التي تؤمن بعدم احترام الرأي الآخر وتسلبه حقه بحرية التعبير وحرية العقيدة، وهو يحجر على العقول والحريات ويحرم عليها التعبير عن ذاتها بحجة أن هذا مخالف لتقافة أو لمذهب أو عقيدة أو رأي ما. يحمل الإرهاب الفكري مفاهيم مثل التعصب والتطرف والتكفير ويحمل عدم احترام التراث والتاريخ والحضارة^(١٤).

وأيضاً يعرف بأنه "كل نشاط من شأنه أن يعمل على فرض رأي محدد، أو يجبر الآخرين على سلوك ما يعتقد من يقوم بممارسة النشاط أنه صواب"^(١٥). وأول مرحلة ينطلق منها الإرهاب الفكري هي القاعدة الفكرية التي يعتمد عليها ويأخذ شرعيته منها، فإن مصطلح الإرهاب الفكري هو مصطلح حديث ولكن أساسه وجذوره فكرة قديمة كانت موجودة في السابق ولكن من دون هذه التسمية، كما أنه يمكن أن ينطلق من سياسات الدولة القائمة على الغزو والجهاد

أو الخاصة، أو تعريض الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر، فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه تعالى عنها^(٨).
الفكر لغةً:

الفكرُ بالكسر: إعمال النظر في شيء، كالفكرة والفكرى، بكسرهما: وأفكارٌ. فكر وأفكر وفكر وتفكر. وهو فكيرٌ كسكيت، وفكيرٌ، كصيقل: كثير الفكر، ومالي فيه فكر، وقد يكسر، أي حاجة^(٩).
الفكر اصطلاحاً:

إن جمع فكر هي أفكار: وهي أشباح وصور ترسلها الأشياء إلى الحواس فتتطبّع فيها وترتب عليها الإدراك طبقاً لنظرية ديمقريطس والابيقوريين. والأفكار على نوعين، النوع الأول أفكار فطرية: وهي التي تستمد النفس من ذاتها دون أن يكون للاحساس أو للتجربة شأن فيها، وتمتاز بالوضوح والبساطة وهي عند ديكارت أساس المعرفة. والنوع الثاني أفكار عارضة: وهي تلك الأفكار التي تركيبها من أفكار عارضة كتصور فرس ذي جناحين^(١٠).

والفكر هو إعمال الخاطر في الشيء. والتفكر: التأمل. ليس لي في هذا الأمر فكرٌ: أي ليس لي فيه حاجة^(١١). والفكر بوجه عام، جملة النشاط الذهني من تفكير وإرادة ووجدان وعاطفة، وبوجه خاص هو ما يتم به التفكير من أفعال ذهنية،



الإلهية بفهمهم لتلك النصوص وسوقوا الاثنين معاً وعدّوهما وجهين لعملة واحدة، فإما أن تقبلهما معاً فتكون مؤمناً أو ترفضهما معاً فتكون كافراً أو فاسقاً. وهكذا جعلوا من أنفسهم أوصياء على دين الله ورفعوا، بغير مسوغ شرعي، فهم النص إلى مستوى النص. وبما أن هذه الطبقة من أنصار الحكام ومؤيديهم هم الأكثرية الوارثة لتلك المفاهيم فإنهم يفرضون المساواة والخلط بين نصوص القواعد الشرعية وبين فهمهم لهذه النصوص، فمن قبل هذا الخلط وتلك المساواة بين ما أنزله الخالق وبين ما وضعه المخلوق فهو المؤمن العاقل، ومن رفضها حكمت عليه الأكثرية بالمروق والرفض والفسوق والكفر! إنه الإرهاب الفكري في أجلي معانيه، وقد طبق بصراحة متناهية طوال عهود الخلافة التاريخية^(١٨).

٣. الفراغ الفكري للمجتمع: فكلمة كان هناك فراغ فكري في مجتمع ما، كلما كان وجود الإرهاب الفكري وانتشاره بشكل واسع، وبعبارة أخرى: إن أية فكرة تطرح في هكذا مجتمع سوف تجد الأرض الخصبة لنموها وانتشارها، وهذا مما يسهل انتشار الأفكار المنحرفة والخرافية، وكل فكرة لا تمت إلى الفكر الإنساني بصلة، وهذا يسهل إلى كل من هبّ ودبّ أن ينشر أفكاره في هذا المجتمع، فالفكر الفرعوني لم يكن موجودا ولم ينتشر في وقته لولا وجود الفراغ الفكري في

المفتعل من جهة، وينطلق من اجتهادات الفقهاء الذاهبين اضطرارا أو اختيارا باتجاه التلاؤم مع تلك الاحتياجات والسياسات من جهة ثانية^(١٦).

أسباب الإرهاب الفكري:

إن الارهاب الفكري منتشر في جميع أنحاء العالم ولكن بنسب مختلفة، فكل دولة تختلف فيها نسبة الإرهاب الفكري عن الأخرى، وهذا الانتشار لم يأت من فراغ أو اعتباطاً بل تهيأت له ظروف، وأسباب متعددة ساعدت على وجوده في المجتمعات البشرية، من هذه الأسباب:

١. التعصب للرأي: إن التعصب للرأي هو أول دلائل التطرف، فالتعصب للرأي تعصبا لا يعترف معه للآخرين بوجود، وجمود الإنسان على رأيه وفهمه جمودا لا يسمح له برؤية المصالح وتبيين المقاصد واستحضار ظروف العصر وفقه الواقع، كل ذلك يجعل صاحبه بعيدا عن روح المسالمة والمحاورة، ويزداد الأمر خطورة حين يراد فرض الرأي على الآخرين بالعصا الغليظة، فهناك الاتهام بالبدع أو بالاستخفاف بالدين أو بالكفر والمروق، فهذا الإرهاب الفكري أشد تخويفا وتهديدا من الإرهاب الحسي^(١٧).

٢. الفهم الخاطئ للنص (فصل الفهم عن النص) كما مزج أنصار الحكام والملوك ومؤيدوهم الخلافة بالدين وسوقوهم معا، كذلك مزجوا النصوص

الإرهاب الفكري في المجتمعات البشرية، وتكون صورة الانحراف إما بالابتعاد عن تطبيق القواعد الأساسية للدين، أو بتطبيقها ولكن بالشكل الخاطئ والمغلوط، أو عدم اعتماد الأسس والأصول والقواعد الدينية والعقائدية من مصادرها الأصلية الصحيحة، فهكذا أمور تؤدي الى تغيير ما جاء به الدين وتغيير المنهج العقائدي المرسوم والموضوع له، مما يؤدي الى خلق وإنتاج مسار ديني عقائدي في قبال الدين والعقائد الصحيحة، وبالتالي تكوين قاعدة فكرية دينية عقائدية مبنية على الارهاب الفكري.

٦. القمع الفكري وإلغاء الرأي الآخر: إن القمع الفكري وإلغاء الرأي الآخر الذي يمارس من قبل الدولة أو من قبل الجهات الدينية المتسلطة، أو من بعض الأشخاص المتسلطين بالقوة و السلاح، يؤدي الى تغذية الإرهاب الفكري، وهذا القمع أو الإلغاء، إما أن يكون برفض الفكر الآخر رفضاً قاطعاً من دون النظر والتفكير وعرضه على العقل ومعرفة هل هو موافق له أو مخالف، أو يكون تارة أخرى برفض الفكر الخاطئ واعتباره الفكر الحقيقي الأصيل، أو طرح أفكار محرفة ومزيفة لا واقع لها، وتضليل المجتمع عن الفكر الأصيل. فالأمة الإسلامية كانت تعيش حالة من الصراع والقمع وإلغاء

المجتمع المصري، وكذلك يمكن القول: إن الفكر الأموي والعباسي والوهابي والداعشي لم يكن موجوداً ومنتشراً بين أفراد المجتمع المسلم لولا وجود الفراغ في المجتمع المسلم، وهذا الفراغ جاء نتيجة الابتعاد عن فكر أهل البيت (ع) الذين أوصى بهم رسول الله (ص)، فإن انتشار هكذا أفكار منحرفة وبعيدة عن الفكر الإنساني الأصيل ينتهي الى فرضها وعدم السماح بمخافتها أو رفضها، بل إن من يرفضها سوف يحاسب ويعاقب وربما يقتل، وهنا يتعرض هكذا مجتمع الى الإرهاب الفكري ومن ثمّ الى الإرهاب الجسدي، بل إنه سوف يبقى داخل دائرة الإرهاب لا يتخلص منه حتى يرجع الى الفكر الأصيل البعيد عن كل فكرة منحرفة يروج لها باسم الفكر والدين.

٤. وجود عوامل اجتماعية مختلفة من البطالة والتفكك الأسري وضعف التربية الصالحة والتوجيه وأصدقاء السوء ونحوه ذلك، جميع هذه العوامل تشكل تربة خصبة لنمو الأفكار الخاطئة والمنحرفة^(١٩).

٥. الانحراف الديني والعقائدي عن مساره الصحيح: إن الانحراف عن المسار الصحيح والمرسوم للمجتمعات البشرية في الجانب الديني والعقائدي هو أحد الاسباب التي تؤدي الى وجود



الفكر الى الطرف الآخر بقناعة تامة ومن دون إجبار أو إكراه كان أكثر تأثيراً وثباتاً لدى الطرف المتلقي، وأنه يرفض الإرهاب الفكري رفضاً قاطعاً. لقد شهدت البلاد الإسلامية أشد وأعتى أساليب الإرهاب الفكري الذي سيطر وخيم على الوضع، إذ مارسه خلفاء بين أمية وبنو العباس في أعلى صورته وأشكاله، وكتب التاريخ مليئاً بالشواهد والأمثلة التي تحكي واقع هذا الإرهاب وانعكاساته السلبية على الحركة الثقافية وعلى المفكرين المسلمين، وبالتالي على مصير الأمة الإسلامية جمعاء. فبالرغم من أن الإسلام جاء بشعار ((لا إكراه في الدين)) فإن الإرهاب الفكري قد ساد حقبا طويلة، ولو كانت الحرية هي السائدة في الدولة الإسلامية لطرح الجميع آراءه ونضجت الرؤى، ولحصل تلاقح فكري، يعود على المجتمع الإسلامي بالفوائد الجمة، ولحلت كثير من الاختلافات الفكرية والفقهيّة التي نشأت بين المسلمين، ومن ثم لعادت على البشرية جمعاء بالفوائد الجمة الكثيرة. كما أن التقدم العلمي الذي نشهده في الدول الأوروبية في هذا العصر، إنما تحقق الجزء الأكبر منه بسبب الحرية الفكرية التي سادت في العصر الحديث. ففي عصر النهضة، تبلورت الرؤى وساعدت الحرية الفكرية على تنميتها، بينما الذي حصل في الدول الإسلامية هو العكس، إذ ساد الإرهاب الفكري

الآخر بين (من يرفض النقد والمراجعة واستخدام العقل في مواجهة التراث، وبين من يوجب النقد والمراجعة واستخدام العقل، ومن هنا كان الصراع عنيفاً بين الطرفين خرج من طور الحوار والجدال والمناقشة والتفاهم ليصل الى البطش والقتل والتشريد الذي كان من نصيب خصوم الفرق المسيطرة وبمساعدة الحكام الذين حققوا السيادة والانتشار لهم على حساب الفرق الأخرى)^(٢٠). فكل هذه الأمور وغيرها تؤدي الى وجود الإرهاب الفكري في المجتمعات البشرية.

المبحث الثاني: مفهوم الإرهاب الفكري في الإسلام:

يُعدُّ مفهوم الإرهاب الفكري من المواضيع التي تطرق إليها الفكر الإسلامي، واستطاع أن يشخص هذا الموضوع ويعالجه بصورة دقيقة ومستوفية لحدود هذا المفهوم، بالاعتماد على المصدر الأساسي والرئيسي، ألا وهو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، من خلال رفض إجبار الآخر على قبول أية فكرة يطرحها القرآن الكريم وعرضها عليه بواسطة الحوار والإقناع، ومنحه الفرصة الكافية لطرح فكره واتخاذ القرار بالإيمان بما يطرحه القرآن الكريم، كما أنه لا يستعمل أية وسيلة من وسائل الإرهاب لا من قريب ولا من بعيد، ولا يستعمل منطق القوة بل يستعمل قوة المنطق، فالقضية لديه أنه كلما يصل

مارس هذا النوع من الإرهاب جماعات إسلامية منحرفة أمثال (الحركة الوهابية فإنها تقوم بزرع التطرف في ربوع العالم الإسلامي عن طريق شراء الرموز والمؤسسات والتيارات الإسلامية التي تشبعت بالفكر الوهابي وقامت بنشر الإرهاب الفكري وإراقة دماء المخالفين وزرع بذور الشقاق بين المسلمين)^(٢٢). كما عمدوا الى ترويح شبهة أن القرآن الكريم يدعو الى الإرهاب ويحث عليه من خلال التفسير الخاطئ للنصوص القرآنية التي ورد فيها الإرهاب بلفظه أو معناه، بل على العكس فإن إعداد القوة والتزود بالعدة لإرهاب أعداء الله وأعداء المسلمين من الأمور التي يحث عليها الشرع المقدس؛ لما يتحقق بها من المصالح ويندفع من المفاسد، قال الله جل جلاله: ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^(٢٣)، إن قوله تعالى (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) هو في مقام التعليل لقوله (وأعدوا لهم) أي وأعدوا لهم ذلك لترهبوا وتخوفوا به عدو الله وعدوكم، وإن الإرهاب هو بإعداد القوة، والغرض الحقيقي من إعداد القوة (الذي يكون بمثابة إرهاب العدو) هو لأجل حفظ المجتمع من العدو الذي يهدده في

بسبب سيطرة الحكومات الظالمة المنحرفة، مما عرقل نمو الفكر البشري، وأوقف عملية نمو المسيرة الإسلامية^(٢١). وهذا الأمر أدى الى تأخر الأمة الإسلامية كثيرا عن غيرها من الأمم الأخرى في مسيرتها العلمية والفكرية مما جعلها أمة متراجعة في نظر الآخرين، والشاهد على ذلك الحال التي تعيشها اليوم البلدان الإسلامية من تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والفكرية والعلمية وغيرها من الجوانب الأخرى. ويرجع هذا كله الى أن الإسلام ابنتي أكثر من غيره بالإرهاب الفكري، الذي كان نتيجة الفهم الخاطئ والتفسير غير الصحيح للنص القرآني والسنة النبوية الشريفة، وتوظيفها حسب الأهواء والرغبات والنزوات الشخصية والطائفية، كما ساعد على ذلك ظهور جماعة إسلامية مخالفة في البلدان الإسلامية وادعائها بأنها صاحبة الحق وهي الوريث الوحيد في تفسير القرآن وما جاء به النبي (ص)، وأن جميع الأفكار المخالفة لأفكارهم منحرفة في نظرهم ولا يمكن قبولها، بل لابد من رفضها ومحاربتها، وبهذا فإن الإرهاب الفكري هو أساس كل أنماط الإرهاب الأخرى، فلو لم تكن هناك أفكار تفرض على الآخرين وكان هناك حوار ومناقشة وتفاهم، لم يكن هناك تعذيب وقتل وتشريد ونحو ذلك. وقد

الأنفس والعرض والمال، أي لأجل نصرته الدين وإطفاء نائرة الفساد الذي يطمس كلمة الحق ويهدم بنيان الفطرة التي بها يعبد الله ويقوم ملاك العدل في عبادته^(٢٤). ويرى الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير هذه الآية أن الهدف منها ليس تزويد الناس بأنواع الأسلحة المدمرة، وليس هو احتلال أراضي الآخرين أو الاستعمار والاستعباد في العالم، بل إن الهدف هو إرهاب أعداء الله الذين لا يستجيبون لنداء المنطق والمبادئ الإنسانية ولا يفهمون غير منطق القوة والترهيب، وبهذا فإن إرهاب قلوب الأعداء الذين ينزعون إلى الإجرام والبغي والتعدي على الآخرين، وردعهم عن الإقدام على تلك الجرائم وارتكابها بتطبيق العقوبات عليهم ليس من الإرهاب المذموم، بل هو من التأديب المحمود والمطلوب لتوقف أمن الناس عليه.

الأنفس والعرض والمال، أي لأجل نصرته الدين وإطفاء نائرة الفساد الذي يطمس كلمة الحق ويهدم بنيان الفطرة التي بها يعبد الله ويقوم ملاك العدل في عبادته^(٢٤). ويرى الشيخ مكارم الشيرازي في تفسير هذه الآية أن الهدف منها ليس تزويد الناس بأنواع الأسلحة المدمرة، وليس هو احتلال أراضي الآخرين أو الاستعمار والاستعباد في العالم، بل إن الهدف هو إرهاب أعداء الله الذين لا يستجيبون لنداء المنطق والمبادئ الإنسانية ولا يفهمون غير منطق القوة والترهيب، وبهذا فإن إرهاب قلوب الأعداء الذين ينزعون إلى الإجرام والبغي والتعدي على الآخرين، وردعهم عن الإقدام على تلك الجرائم وارتكابها بتطبيق العقوبات عليهم ليس من الإرهاب المذموم، بل هو من التأديب المحمود والمطلوب لتوقف أمن الناس عليه.

أما المعاني السيئة من الاعتداء على الخلق، والجرائم العامة والخاصة فتدل عليها ألفاظ شرعية دقيقة تُبنى عليها أحكام في غاية الانضباط^(٢٥). و يتمخض من ذلك أن الإرهاب الوارد في القرآن الكريم إنما هو خاص يتعلق بالمعتدين لصدّهم عن عدوانهم متى حصل منهم، وليس هو إرهاباً عدوانياً بالمعنى المعاصر، المرفوض إسلامياً^(٢٦). ومن جهة أخرى فقد أطلق الإسلام على ظاهرة الإرهاب مصطلح (الإفساد في

الأرض) لأن هلاك الحرث والنسل وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق وترويع الأمنيين وإتلاف المملكات المصونة والإفساد في الأرض ونحو ذلك من الأمور التي يتحقق بوجودها وجود الإرهاب، أما ظاهرة الإرهابيين فقد أطلق الفكر الإسلامي عليها مصطلح (المفسدون في الأرض) (والمحاربون لله ورسوله)، فمن يهلك الحرث والنسل أو يروع الأمنيين أو يُنلّف ممتلكات الآخرين يُصنّفُ بلا أدنى شك من الإرهابيين^(٢٧). ولذا لزم التفريق بين مستويين لمعنى كلمة الإرهاب في اللغة العربية في هذا العصر: (٢٨)

المستوى الأول: وهو شعور بالخوف يحصل لمن تحدّثه نفسه بارتكاب العدوان نتيجة إحساسه بوجود قوة مرهبة رادعة، تصده كلما همّ أو فكّر في ارتكاب جريمته، ويدخل ضمنه المفهوم القرآني للإرهاب الذي يشير إلى زيادة العدد والعدة في صفوف المسلمين وإجراء التحصينات اللازمة للقيام بالجهاد ضد الكفار المحقق كفرهم وعدائهم.

المستوى الثاني: وهو يشير إلى مفهوم الإرهاب المعاصر، وهذا النوع من الإرهاب، قد يصدر من فرد أو جماعة، ومقتضاه إشاعة الذعر بين الناس، أو القتل والتخريب والفساد، وقد يكون مصدره الدولة من خلال إيقاع التخويف والإيذاء على غير العصاة والمفسدين أو تجاوز الحد في عقوبتهم، وإيذائهم، أو يكون بغياً وعدواناً على

دولة أخرى غير مسلمة، عبثاً بأمنها وتنكياً بأهلها.

لقد كان التسامح واحترام الرأي في عصور الإسلام الأولى هو الخلق الاجتماعي السائد الذي ينظم حرية الفكر، ولكن بعد بروز الانحراف السياسي في حياة المسلمين، وضعف الالتزام بمبادئ الإسلام وأخلاقه وتعاليمه، وبخاصة لدى بعض الفئات والجهات المؤثرة، بدأ الفكر يعيش حالة المعاناة، وابتلي المسلمون بمآسي الإرهاب الفكري في العديد من الفترات والعهود، فالسلطات الحاكمة كانت تتدخل بقوتها لفرض رأي أو لمحاربة آخر، وبعض رجال الدين المرتبطين بالسلطات كانوا يشجعونها بهذا الاتجاه، ولعل الخوارج هم أول من مارس هذا النوع من الإرهاب الفكري في تاريخ المسلمين، إذ كفروا من يخالفهم في الرأي أو الموقف السياسي، وقد بلغ بهم الأمر الى تكفير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) مع إقرارهم بأنه أول الناس إسلاماً وأسبقهم إيماناً وأقربهم من رسول الله (ﷺ). وهذا الرأي المنحرف الذي تبنته بعض الفرق من تكفير المسلمين حدث نتيجة الفهم الخاطئ للنص المقدس ونتيجة الانحراف الديني والعقائدي عن المسار الصحيح المخطط له من السماء، وهو مخالف لما جاء به القرآن الكريم. فالقرآن الكريم مليء بالمناظرات

العلمية مع خصومه في جو تسوده الحرية والأمن الفكري؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(٣٠)، بل نهى الله المؤمنين عن أدنى درجات «الإرهاب الفكري» في مناظراتهم لأهل الكتاب؛ إذ يقول: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٣١). وهكذا فعل المصلحون مع خصومهم، كما هي سيرة الإمام علي (ع) مع الخوارج لما نظرهم بنفسه، أو حين أوفد إليهم عبد الله بن عباس، مناظرة تبعث الطمأنينة في النفوس على قاعدة «الأمن الفكري»، ولم يكن أمير المؤمنين ليستعمل ضدّهم وسيلة من وسائل «الإرهاب الفكري» فلم يقاتلهم لأجل فكرهم، بل قاتلهم لأجل اعتدائهم على المسلمين^(٣٢). فالإسلام ينبذ الأيديولوجيات العنصرية وطموحاتها المبنية على الغطرسة والعنف والتعالي المتعجرف على الآخرين الممعن في الإرهاب تحت عناوين الإصلاح أو التحضر أو التحرر^(٣٣). أمّا السلفيون الذين وجدوا أن انصهار المذاهب الإسلامية في نطاق تفكيرهم الضيق هو أسهل المحاولات لطمس الفكر الأصيل بصورة عامة

والعلم، فالإسلام لا يلغي دور العقل بل يجعله المصدر والمرجع في الحياة ف "العقل رسول الحق" و "العقل أفضل موجود" على حد تعبير الإمام علي (ع)، وعن رسول الله (ص): "قوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له"، وما دام الإسلام يشجع العقل على ممارسة دوره القيادي في حياة الإنسان فلا بد وأن يزيل العقبات والحواجز من طريقه، وأكبر حاجز وعقبة تشلُّ فاعلية عقل الإنسان، وتُعطلُّ قدراته الذهنية، هو الإرهاب الفكري ومصادرة حرية الرأي، وحينئذ تتضاءل إنسانية الإنسان، وتتلاشى كفاءاته، وخلافا لما كانت تفرضه الكنيسة الأوروبية من قمع فكري جاء الإسلام مبشرا بالحرية، داعيا إلى التسامح، مؤكدا على كرامة الإنسان وقيادية العقل^(٣٦).. يقول تعالى مبينا دور النبي محمد (ص): ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٣٧) .

المبحث الثالث: الإرهاب الفكري والعقلية الغربية:
لم يكن الغرب بعيدا عن الغرب الفكري بل كان منغمسا فيه الى أبعد الحدود، ففي السنوات السابقة لعصر النهضة في الدول الغربية، كانت الحكومات الأوروبية تمنع الأفكار التي تطالب بحقوق مجتمعاتها والتي تكون مخالفة لأيديولوجيتها السياسية الخاصة بها، بل يصلُ الأمر بأصحاب الفكر إما الى الإعدام أو الحرق

ولطمس فكر آل البيت (ع) بصورة خاصة، فاذا استطاعت السلفية إدخال المذاهب الإسلامية تحت هيمنتها، وهي الحاكمة لأكثر البلدان الإسلامية، فإن فكر آل البيت سوف لا يملك قوة سياسية حاكمة، وهو الأولى للانصياع تحت ضغط النظام السياسي الحاكم، وهكذا تجاذب السلفيون محاولات الهيمنة الفكرية مع الفكر الإسلامي، وفكر أهل البيت بصورة خاصة، في الجزء الشرقي من أرض الجزيرة العربية وكثير من الدول الإسلامية^(٣٤) .

وإذا نسب الى الإسلام التطرف وممارسة الإرهاب الفكري، عبر غوغائية إعلامية غير شريفة ولا أخلاقية، فما ذلك إلا لتخويف الناس من الالتزام بالإسلام، والاستماع لدعواته، وعلى الرغم من وقوع الأخطاء- وأحيانا الفظيعة- من بعض المنتمين أو المدعين إلى الإسلام، إلا أنها نقطة في بحر التطرف والإرهاب الغربي الذي يمارس على شعوب بأكملها، وعبر عقود من السنين، وما هذا إلا مظهر من مظاهر عدم مصداقية الغرب والكيل بمكيالين، وغض الطرف عما يمارسه اليهود الموغلون في الظلامية والعنصرية والتطرف^(٣٥). ومن جهة أخرى بينما كانت الشعوب الأوروبية تعيش هذا الوضع المأساوي في ظل القمع والإرهاب كان الإسلام يبني حضارته المجيدة على أساس الحرية والتسامح

الغربي نفسه، بل كل ما في الأمر أنه كان مسيراً من قبل الكنيسة ولا يحق لأحد الاعتراض، ومن يعترض على الفكر الكنسي يكون مصيره الموت. ومن أجل أن هذه المسلمات المزعومة لا يمكن للعقل التسليم بها فقد حظرت الكنيسة على العقل أن يفكر فيها أو يناقشها، وزعمت أن التفكير فيها مناف للإيمان، وأن الموقف الصحيح للمؤمن هو التسليم بها بغير جدال، وتفويض الأمر فيها لا إلى الله بل "لقداسة" البابا ومن حوله من "كبار" رجال الدين!.

وفي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوربي وانحصر في التسليم بما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة، ومحاولة التوفيق بينه وبين مقتضيات التفكير السليم، في مغالطات "فلسفية" هي أقرب إلى التلفيق منها إلى التوفيق^(٣٩)، وكما كان في الغرب ممثلاً في الكنيسة والإقطاعيين؛ فهو اليوم ممثل في بعض رجال الدين المأجورين، والحكومات المستبدة التي لا يقيدتها قانون ولا يلجمها نظام؛ ففقهاء من ذلك القبيل يمثلون القوة التشريعية لـ «الإرهاب الفكري»، وحكام الاستبداد يمثلون القوة التنفيذية له، حتى أصبح «الإرهاب الفكري» إحدى الأيدي الباطشة لأخطبوط الاستبداد^(٤٠). وليس هذا فقط بل تبنت الكنيسة في العصور

أو السجن، فالتاريخ الأوربي يشهد على ذلك، فقد مرَّ بأحداث كثيرة وقد سال فيها كثير من الدماء. ففي ظل الإرهاب الفكري الذي مارسته الكنيسة انكمش نشاط العقل الأوربي وانحصر في التسليم بما تمليه الكنيسة والمجامع المقدسة، ومحاولة التوفيق بينه وبين مقتضيات التفكير السليم، في مغالطات (فلسفية) هي أقرب إلى التلفيق منها إلى التوفيق، ومن ناحية أخرى انصرف الفكر الأوربي عن النظر في هذا العالم وفي الحياة الدنيا بتأثير آخر من تأثيرات الدين الكنسي المحرف، فقد أوحى المسيحية المحرفة إلى الناس بأن هذه الدنيا لا سبيل إلى إصلاحها أو تقويم معوجها لأنها ناقصة بطبيعتها، وأن الطبيعة الإنسانية ناقصة كذلك، ولا سبيل إلى إصلاحها إلا بصرفها عن الاهتمام بالحياة الدنيا، وصرف اهتمامها إلى اليوم الآخر وأنه بقدر ما ينصرف الإنسان عن هذا العالم والتفكير فيه- بالرهبانية- يكون أقرب إلى الصلاح، وأقرب إلى الفوز بملكوت الرب في العالم الآخر^(٣٨). فقد استطاعت الكنيسة أن تستعمل الدين في السيطرة على المجتمعات الغربية، بل استطاعت أن توجه الفكر الأوربي بحسب ما تعتقد به وتدعو إليه لا إلى ما يدعو إليه الله سبحانه أو النبي عيسى (ع) أو العقل البشري ولا حتى ما يريده المجتمع



الوطني آراء أرسطو وبطليموس اليونانية في الطبيعة والفلك، وأطلقت عليها الجغرافيا المسيحية، وعملت على فرضها على الناس بوصفها معتقدات دينية، وأن مخافتها كفر ومروق عن الدين، وأنشأت محاكم التفتيش عام ١١٨٣م لمساءلة الناس عن آرائهم في أمور الطبيعة والكون، ومعاقبة المخالف منهم، ويقدر عدد من عوقبوا بقرار من هذه المحاكم ب ثلاثمائة ألف شخص، أحرق منهم اثنان وثلاثون ألف أحياء، كان منهم العالم الطبيعي المعروف (برونو) الذي حكم عليه بالقتل، وأن لا تراق قطرة من دمه على الأرض حياً سنة ١٦٠٠م، وكذلك حكم بالقتل على العالم الفلكي الإيطالي (غاليلو) سنة ١٦٤٢م لأنه قال بحركة الأرض ودورانها حول الشمس^(٤١). وأما في عصرنا الحاضر فالغرب يمارس الإرهاب الفكري بصور مختلفة ومتعددة، وطرق ملتوية ربما لا يدركها كل شخص منا، وإنما تحتاج الى انتباه، وتحليل للأعمال التي يمارسها الغرب تجاه المجتمعات البشرية المختلفة، ومن هذه الصور ما يأتي:

١. يمارس بواسطة المنظمات السرية الأوروبية المتخفية التي تعمل بصورة سرية ما تشاء وحسب المصالح الغربية من وكالات الاستخبارات وغيرها، إذ لا يمكن أن يمارس هذا الإرهاب إلا منظمة متخفية كي لا يلقي نشاطها ظلاً على

المؤسسات الحكومية والسياسية الرئيسية في البلاد^(٤٢).

٢. وبواسطة دعم الغرب للمنظمات والأحزاب والتيارات والمذاهب والفرق المتطرفة في أفكارها سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية شرقية أو غربية.

٣. وبواسطة استخدام الإعلام المرئي والمسموع والمكتوب الذي يعمل على تشويه أفكار الطرف الآخر، حتى وإن كان على حق والفكر الغربي على خطأ، فالمهم في القضية ما يتبناه الفكر الغربي، أما الأفكار الأخرى فهي تتعت بشتى الأوصاف من عنف وتطرف وإرهاب وقتل ورجعية وغيرها.

٤. ويمارسه بواسطة السياسة الغربية المتبعة تجاه الدول الأخرى، سواء كانت هذه الدول صديقة أو غير صديقة، وهذه السياسة تتصف بالعمل المنهجي المبني على إقصاء الطرف الآخر، الذي لا يلتقي معها في المصالح السياسية وغير السياسية.

إن فهم الإرهاب الفكري قائم على أساس أيديولوجية و فلسفية و عقائدية الفكر الغربي، ولا يمكن للغرب أن يفهم الإرهاب الفكري خارج دائرته الفكرية، كما أن فهم الغرب للإرهاب يكون بحسب ما هو مناسب لآرائه وطروحاته الفكرية، فما كان مناسباً للفهم والاعتقاد الغربي فهو خارج

والممارسات العدائية من قبيل الإرهاب الفكري ضد الشعوب والأديان الأخرى؟.

المبحث الرابع: الإرهاب الفكري وعلاقته بالدين:

يعتقد بعض المنظرين أن الدين هو المنتج للإرهاب، بل يصف الجهاد بالإرهاب وبأنه أيديولوجية إسلامية تستخدم لتنفيذ مشروع إسلامي للسيطرة على العالم، بل يزعم أن أكثر الأديان لإنتاج الإرهاب هو الدين الإسلامي، ولم يأت هذا الاعتقاد عبثاً أو اعتباطاً أو من فراغ، بل جاء نتيجة نظرة الآخر تجاه الدين الإسلامي المأخوذة من فهم المذاهب والفرق والأحزاب والجماعات للدين، إلا أن هذا لا يمكن أن يعطيهم الحق في اعتقادهم، فلا بد لأي شخص كان إذا ما أراد أن يصرح برأيه و ينتقد الفكر الآخر فعليه الاطلاع بالشكل الصحيح والدقيق على هذا الفكر، ولا بد عليه أن يعتمد على منهجية موضوعية وعلمية في انتقاده لأي فكر آخر، كما أنه لا بد أن يفهم أصحاب هذه النظرة تجاه الدين الإسلامي بأنهم إما لم يطلعوا على الدين الإسلامي أو اطلعوا عليه ولكن من المصادر المحرّفة وغير الموثوق بها وليس من مصادره الأصيلة ومنابعه الصافية، أو أنهم لم يفهموا الإسلام على حقيقته وكما يدعو إليه بل فهموه كما يريدون هم، أو أنهم حكموا على الكل من خلال الجزء، حكموا على الدين

نطاق دائرة الإرهاب الفكري، وما لا يناسب ما يعتقد به الغرب فهو داخل ضمن دائرة الإرهاب، وكل ذلك محكوم بمصالحهم الخاصة، ولم يكن هذا الفهم اعتباطاً بل هو نتيجة لما شهدته الغرب في العصور السابقة وقبل عصر النهضة من الولوج في دوامة الإرهاب وبخاصة الإرهاب الفكري. ولو نظرنا الى القرآن الكريم والى ما فيه من أفكار ومفاهيم ومعاني كثيرة، جاءت لإصلاح المجتمعات البشرية مما لحق بها من فساد صنعته اليد البشرية التي تريد فرض سيطرتها على الناس بمنطق القوة لا بقوة المنطق، فقد تطرق القرآن الكريم الى مفهوم الجهاد والقتال والإرهاب والدفاع عن النفس وغير ذلك من المفاهيم الإسلامية، نجد أن الغرب يتخذها ذريعة لوصف القرآن بالإرهاب والتطرف والتعصب، فلم هذه النظرة الغربية الدونية للقرآن الكريم؟ أليس باسم الحرية والديمقراطية والدفاع عن حقوق الإنسان في الغرب قد سفكت دماء كثيرين من البشر، بل احتلت دول عديدة أمثال أفغانستان والعراق، ألا يُعدُّ هذا إرهاباً؟، ألم يناد الغرب بالحرية الفكرية والاعتقاد وحرية الرأي والتعبير؟ فلم ينعت الفكر الآخر بشتى ألوان التخلف والتأخر ويحارب المسلمين ويقتلهم بل يصنفهم ضمن دائرة الإرهاب؟، ألا تُعدُّ تلك الازدواجية



وأشكاله بشكل، بالإضافة إلى أضراره الداخلية وعونه للعدو الخارجي، إساءة وتشويهها لسمعة الإسلام أمام سائر الشعوب، التي تمارس الحرية الفكرية والعلمية في أجوائها على أوسع نطاق، فماذا سيكون انطباعهم عن دين يتبارى أتباعه بإطلاق التهم والافتراءات وتكفير بعضهم لبعض، وتسود بينهم لغة القمع والبطش بغطاء ديني^(٤٤). فالإرهاب: هو العنف، والشدة، والغلظة، وبالفكر: هو الرمي والسباب والشتم والقذف للمخالفين لهم بشتى أنواع الكلمات الغليظة غير الأخلاقية، فإن قاموس الجماعة الوهابية (والقاعدة وداعش والمتطرفين والمتعصبين) مليء بتلك الكلمات النابية، والشائم المقدعة، بالإضافة إلى سوء الخلق وعدم الحياء، وعقائدياً: ترى سيف الكفر والتكفير، والشرك والتشريك، والفسق والتفسيق، مسلطاً على كل رقبة تخالفهم، فبمجرد مخالفتهم بالرأي تنهال عليك الشتائم والنعوت بالكفر، أو الشرك أو الابتداع أو الجهمية أو التعطيل وغير ذلك من التهم الجاهزة لكل مخالف كائناً من كان^(٤٥). ويرى الدكتور أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي أنه لا يوجد من يملك استعمال كلمة التكفير إلا بحق من أعلن صراحة كفره، أما دون ذلك فإن سبيل المناقشة الفكرية هي الطريق الوحيد للإقناع والتحاور، فمن قال: لا إله إلا الله ليس لنا أبداً أن نكفره، فاستعمال التكفير نوع من

الإسلامي من خلال بعض الأفراد، وبعبارة أدق: إنهم لم يحكموا عليه من خلال النصوص الأصلية، بل حكموا عليه من خلال فهم الأشخاص لهذه النصوص. فعلى الجميع أن يميز بين الدين الإسلامي وبين الإرهاب وبين من يستعمل الإرهاب وينسبه إلى الدين الإسلامي بهتاناً وزوراً، بين الدين الإسلامي وبين من يسيء إلى الإسلام فكراً وعملياً (الذين يدعون أنهم مسلمين، بل إنهم متأسلمون) وهذا ما سوف يتبين لنا من خلال موضوع علاقة الإرهاب بالدين، فإن الربط بين الدين وما يحدث من عنف وإفساد وإرهاب، هو بلا شك ربط خاطئ تسبب فيه الجهل بالدين، وترتب على هذا الربط الخاطئ تصرف خاطئ في محاولة تجفيف منابع الدين. وتتعد المشكلة حين يتصدى للأمر نفر من الجهال والمأجورون فتنتشر السلوكيات المنحرفة، وتكثر الفتاوى المضللة^(٤٣). هذا هو الأمر الواقع والسبب في إطلاق التهم ضد الدين الإسلامي بسبب الفتوى المضللة والمسيسة من قبل بعض رجال الدين أو ما يطلق عليهم بوعاظ السلاطين، فضلاً عن الأحاديث والروايات المزورة والمحرفة التي قد غرر من خلالها بالمجتمع المسلم بالأخذ بها واتباعها، وقد رفضها علماء الدين الأجلاء نظراً لعدم صدقها وصحتها وخطورتها على المجتمع البشرية. إن الإرهاب الفكري بكل حالاته

للدّين بوجود الإرهاب الفكري، فمفهوم الإرهاب عكس مفهوم الدين، بل لا يلتقي الدين مع الإرهاب بأية صورة كانت، وإنهما يختلفان أحدهما عن الآخر اختلافاً جذرياً، فلو نظرنا إلى حرية التفكير والفكر والاعتقاد نجد أن الدين يجيزها ضمن حدود معقولة للجميع، بينما الإرهاب الفكري يرفضها رفضاً قاطعاً ولا يعتقد بشيء منها، فإن ما يمتاز به الإرهاب من تطرف وتعصب وغلو وقمع للحريات وإلغاء الرأي الآخر وعدم الحوار والتفاهم وتوظيف المال والتكفير والطائفية والتمييز والعنصرية واستعمال لغة القوة وفرضها على الآخرين، كل ذلك مما يرفضه الدين الإسلامي ولا يقبل به، بل يمكن القول: إن من يمتاز بهذه الأوصاف شخصاً كان أو جماعة أو فرقة أو حزبا أو طائفة أو مذهباً أو دولة فهو داخل ضمن دائرة الإرهاب الفكري.

وقد تجلّى الصراع الفكري في تأريخ الفرق الإسلامية حيناً من الدهر واتخذ أشكالاً تبعث على الحسرة منها: وضع الأحاديث والكذب على رسول الله (ص) تأييداً لقضاياهم ونصرة لآرائهم وتجريحاً لخصومهم، وقد فتح ذلك على الأمة باب قتنة وفساد كبير، ومن جهة أخرى انطلقت الألسن تحت وطأة التعصب البغيض تجاهر بالتكفير للفرق المخالفة، واختراع أحكام لا سند

الإرهاب الفكري نرفضه ما دام من يحاورنا يستعمل العلم في حججه، فليس لنا إلا أن نرد عليه بالعلم أيضاً^(٤٦). إن الفهم الخاطئ للدين ومبادئه وأحكامه، والإحباط الذي يلقاه الشباب نتيجة افتقارهم إلى المثل العليا التي يؤمنون بها في سلوك المجتمع أو سياسة الحكم، والفراغ الديني يعطي الفرصة للجماعات المتطرفة لشغل هذا الفراغ بالأفكار التي يروجون لها ويعتقونها. كما أن غياب الحوار المفتوح من قبل علماء الدين لكل الأفكار المتطرفة، ومناقشة الجوانب التي تؤدي إلى التطرف في الرأي يرسخ الفكر المتطرف لدى الشباب. ومن جهة أخرى نرى أن كثيراً من دعاة العنف والتطرف والتزمت يفتقدون منهجية الحوار، ويرفضون الدخول في محاوراة الآخرين حول معتقداتهم وأفكارهم مما يدفعهم إلى العمل السري^(٤٧)، إذ إن «الإرهاب الفكري» الذي قمع كل قول يخالف سلطته الدينية، أو ينازع قوته السياسية، كما مارسه الإرهابيون الأول بنص القرآن على لسانهم: ﴿لَنْ نَرْتَدَّ عَنْهُ يَنْبَغُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾^(٤٨). إنه ذلك الأسلوب نفسه الذي مارسه أولئك تسفيها وتحقيراً لكل رأي لا يوافق هوى آبائهم، أو لا يناسب ذوق أجدادهم^(٤٩)؛ وهو قولهم: ﴿أَجْمَعْنَا لِنَلْفِنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾^(٥٠). إن الإرهاب الفكري لا يأتي من الدين ولا علاقة



الإسلامي وعدم استخدام العقل وتحجيم دوره في الإنتاج المعرفي والفكري الإسلامي في إحياء كثير من العلوم المختلفة التي تنفع البشرية كالعرفان والفلسفة وغيرها من العلوم، إذ إن هناك من يرفض النقد والمراجعة واستخدام العقل في التراث، وهناك من يؤكد على النقد والمراجعة واستخدام العقل للتراث، وبهذا فقد تحول الحوار والجدال والمناقشة والتفاهم في الفكر الى طور العنف والقتل والتشريد، مما أدى الى أن يسود الإرهاب الفكري في المجتمع المسلم، علما أن باقي الأديان الأخرى تعيش حالة الإرهاب الفكري بكل معانيه داخل مجتمعاتها.

إن كثيرا من الناس يعتقدون أن الغرب يعيش حالة من الاستقرار التام والكامل، بعيدة عن أي نوع من الإرهاب، بما فيه الإرهاب الفكري، والواقع وكما مرَّ بنا في البحث، أن الإرهاب منتشر في جميع دول العالم بما فيه الغرب، ولكن بنسب مختلفة ومتفاوتة، فالغرب يوجد فيه إرهاب ولكن تختلف نسبة وجوده عما هو عليه في دول العالم الآخر، ولكن لو نظرنا الى الغرب بدقة وتمعن فسوف نرى ما يثبت ذلك، فمثلاً في فرنسا التي تدعي أنها تتنادي بالحرية، تمنعُ النساء المسلمات من ارتداء الحجاب في الجامعات والأماكن العامة، بينما يحق لباقي النساء أن تفعل ما تشاء وحسب حريتها الشخصية، أليس هذا العمل مبنيا

لها ولا أصل في دين الله عز وجل^(٥١). وللدلالة على ما يعيشه هؤلاء الإرهابيون من ضياع وتشتت في الفكر والعقيدة فقد رفعوا شعارات غير متناسقة ولا متوافقة ولا تحمل في طياتها أي نضج ديني أو سياسي أو اجتماعي بدليل أنهم تارة كانوا يحاربون الغرب لأنه مسيحي كافر وتارة لأنه يعادي المسلمين ويستأثر بمصالحهم، وتارة كانوا يرفعون شعارات تدعو إلى تطهير العالم الإسلامي من الأجانب، وتارة يميزون بين من هو غربي من أهل الكتاب ومن هو غربي ملحد. وهذه التصنيفات طالت الدول العربية والإسلامية، علماً أن هذه القوى الإرهابية التي تتستر بالإسلام لم تقم بأي هجوم على أشخاص أو مصالح صهيونية، ولم توظف أذنى ما تملك من طاقات وإمكانيات للدفاع عن الأقصى الشريف الذي تنتهك حرمانه على الدوام^(٥٢).

الخاتمة:

مرّت المجتمعات الإسلامية بعد رسول الله (ص) بالإرهاب، وبكل أنواعه، وبخاصة الإرهاب الفكري الذي نخر الأمة الإسلامية من الداخل أكثر من غيره، والسبب يعود الى الانحراف الفكري والعقائدي لكثير من الفرق والمذاهب الإسلامية عن الدين الإسلامي، فمن جهة التسلط السياسي والمدعوم من قبل وعاظ السلاطين، ومن جهة أخرى الجمود الفكري الذي مرَّ به الفكر

فالغرب حاله حال المجاميع المتطرفة والمتعصبة
والتكفيرية المتمثلة بالوهابية والقاعدة وداعش في
ممارسة الإرهاب الفكري، كما أن الغرب يمارس
التمييز العنصري مع كثيرين من أبناء المجتمع
الغربي.

على فكرة خاطئة؟ ألا ينطوي على أحد أنماط
الإرهاب الفكري وهو القمع وإلغاء الآخر؟ ألا
يكون ضمن دائرة الإرهاب الفكري، وكذلك الحالة
مع إسرائيل فإنها تفكر وتقول وتفعل ما تريد،
بينما لا يحق للفلسطينيين أي شيء من ذلك، فما
هذه الازدواجية الفكرية التي يفكر بها الغرب!؟.

الهوامش:

- ١ - بن زكريا - ابن الحسين احمد بن فارس - معجم مقاييس اللغة - ج ٢ - الناشر : الدار الاسلامية - بدون طبعة - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م - حارة حريك - لبنان - ص ٤٤٧.
- ٢ - الحنفي - محب الدين ابي فيض السيد محمد مرزى الحسيني الواسطي الزبيدي - تاج العروس من جواهر القاموس - ج ٢ - دراسة وتحقيق : علي شيري - الناشر: دار الفكر - بدون طبعة - ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م - بيروت - لبنان - ص ٤٣.
- ٣ - الصالح - صالح العلي و الاحمد - أمنية الشيخ سليمان - المعجم الصافي في اللغة العربية - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ٢١٥.
- ٤ - عزوزي - أ. د. حسن بن إدريس - قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - فاس - المغرب - ص ٤ .
- ٥ - سورة المائدة- الآية ٣٢.
- ٦ - مصيلحي - أ. د. محمد الحسيني - الإرهاب مظاهره وأشكاله وفقاً للاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ٩.
- ٧ - عزوزي - أ. د. حسن بن إدريس - قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - فاس - المغرب - ص ٥ .
- ٨ - القريشي - د. خالد بن عبد الرحمن - الارهاب الفكري (مفهومه، بعض صوره ، سبل الوقاية منه) بدون ناشر - ٢٠٠٤ - ص ١٨
- ٩ - الفيروزابادي - مجد الدين بن يعقوب - القاموس المحيط - تحقيق : مكتب تحقيق مؤسسة الرسالة باشراف محمد نعيم العرفسوسي - الناشر : مؤسسة الرسالة - ط ٨ - ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م - ص ٤٥٨ .
- ١٠ - مذكور - د. ابراهيم - المعجم الفلسفي - الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية - بدون طبعة - ١٩٨٣م - ص ١٧ .

- ١١ - الصالح - صالح العلي و الاحمد - أمنية الشيخ سليمان - المعجم الصافي في اللغة العربية - ص ٥٠١ .
- ١٢ - مذكور - د. ابراهيم- المعجم الفلسفي- الناشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية- بدون طبعة- ١٩٨٣م- ص ١٣٧
- ١٣ - القرشي - د. خالد بن عبد الرحمن - الارهاب الفكري (مفهومه ، بعض صورته ، سبل الوقاية منه) - ص ٢٦ .
- ١٤ - موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة - (<https://ar.wikipedia.org/wiki>)
- ١٥ - فهد الطريسي- الارهاب الفكري والتشدد الديني- موقع الحياة (٦٥٥٠٦١٥/<http://alhayat.com/Opinion/Letters/>)
- ١٦ - ظهور دار الاسلام وزوالها قراءة في متغيرا الفقه والسياسة والتاريخ - بحث للدكتور رضوان السيد - في كتاب : الفكر السياسي الاسلامي واشكالها التطوير والمعاصرة - الناشر الحياة الطيبة معهد الرسول الاكرم (ص) العاليي للتشريعه والدراسات الاسلامية - ط ١ - ١٤٢٤هـ ١٤٣١م - ص ١٧ .
- ١٧ - عزوزي - أ . د . حسن بن إدريس - قضايا الإرهاب والعنف والتطرف في ميزان القرآن والسنة - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - فاس - المغرب - ص ٥٥ .
- ١٨ - يعقوب - أحمد حسين - مساحة للحوار من أجل الوفاق ومعرفة الحقيقة - الناشر : مركز الأبحاث العقائدية- بدون طبعة وتاريخ - بيروت - ص ٢٣٩ .
- ١٩ - الجفري - عصام بن هاشم - الارهاب الاسباب والعلاج - ص ١٦ .
- ٢٠ - الورداني - صالح - فرق اهل السنة جماعات الماضي وجماعات الحاضر - الناشر : مركز الابحاث العقائدية - بدون طبعة وتاريخ - ص ٢٤٧ .
- ٢١ - المدرسي - آية الله السيد محمد تقى- التاريخ الاسلامي دروس وعبر - الناشر : دار نشر المدرسي للطباعة والنشر - الطبعة : الخامسة ١٤١٨ هـان نتيجة . ١٩٩٧ م - ص ٣٦٨ .
- ٢٢ - الورداني - صالح - دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين - الناشر :مركز الأبحاث العقائدية - بدون طبعة وتاريخ - ص ٣٠٤ .
- ٢٣ - سورة الانفال- الآية ٦٠
- ٢٤ - الطباطبائي- السيد محمد حسين- تفسير الميزان- ج ٩- ص ٦٤ .
- ٢٥ - د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق- الإرهاب والغلو (دراسة في المصطلحات والمفاهيم) بدون ناشر وطبعة وتاريخ- ص ١٤
- ٢٦ - الاوصيف - عبد الله الكيلاني - الارهاب والعنف والتطرف في ضوء القران - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ١٢ .
- ٢٧ - ينظر يعقوب - احمد حسين - حكم النبي واهل البيت (ع) على الارهاب والارهابيين - الناشر : الدار الاسلامي - ط ١ - ٢٠٠٢ م ١٤٢٣هـ - حارة حريك - لبنان - ص ١٨ .
- ٢٨ - الاوصيف- عبد الله الكيلاني- الارهاب والعنف والتطرف في ضوء القران والسنة- بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ١٨ .
- ٢٩ - شمس الدين- آية الله الشيخ محمد مهدي- التعددية والحرية في الإسلام- بدون ناشر - ط ٢ - بدون تاريخ - ص ١١٩ .
- ٣٠ - سورة آل عمران- الآية ٦٤

- ٣١ - سورة العنكبوت - الآية ٤٦ .
- ٣٢ - الشحود - علي بن نايف - موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثاره على المسلمين - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ٧٠ .
- ٣٣ - الاوصيف - عبد الله الكيلاني - الارهاب والعنف والتطرف في ضوء القرآن - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ١٧ .
- ٣٤ - الحلو - محمد علي - ادب المحنة - الناشر: مركز الابحاث العقائدية - بدون ط وت - ص ٥٣٣ .
- ٣٥ - القرني - د . عوض بن محمد - العلمانية التاريخ والفكرة - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ١٧ .
- ٣٦ - شمس الدين- آية الله الشيخ محمد مهدي- التعددية والحرية في الإسلام- بدون ناشر - ط٢ - بدون تاريخ - ص ١١٢ .
- ٣٧ - سورة الأعراف- الآية ١٥٧ .
- ٣٨ - الخراشي - سليمان بن صالح - نقض أصول العقلايين - الناشر: دار علوم السنة - بدون طبعة وتاريخ - ص ٤ .
- ٣٩ - قطب - محمد - مذاهب فكرية معاصرة - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ١٢٧ .
- ٤٠ - الشحود - علي بن نايف - موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثاره على المسلمين - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ٧١ .
- ٤١ - محاضرات القاها الشيخ حسن الصفار - بعنوان : الكنسية تاريخ من الظلم باسم الدين - المكان: مسجد في القطيف - كلمة الجمعة بتاريخ ١١ ذو الحجة ١٤٢٠هـ - وجمعت في كتاب : احاديث في الدين والثقافة والاجتماع - ص ١٦٥ .
- ٤٢ - ظ: ر . ف . ايفانوف - أي . ف . ليسينفكي - تاريخ الارهاب الامريكي (الكوكلاكس) الناشر : دار الحوار - ترجمة : غسان رسلان - ط ١ - ١٩٨٣ - سورية اللاذقية - ص ٢ .
- ٤٣ - الجفري - عصام بن هشام - الارهاب الاسباب والعلاج - ص ٨ .
- ٤٤ - شمس الدين - آية الله الشيخ محمد مهدي- التعددية والحرية في الإسلام- بدون ناشر - ط٢ - بدون تاريخ- ص ١٢٤ .
- ٤٥ - حسين أبو علي- الوهابية جذورها التاريخية مواقفها من المسلمين - الناشر : مركز الأبحاث العقائدية - ص ١٠٨ .
- ٤٦ - ظ: الكثيري- السيد محمد - السلفية بين أهل السنة والإمامية - الناشر: مركز الأبحاث العقائدية - بدون طبعة وتاريخ - ص ١٧ .
- ٤٧- الهواري - أ د . محمد - الإرهاب : المفهوم والأسباب وسبل العلاج - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ٢٦ .
- ٤٨ - سورة الشعراء - الآية ١١٦ .
- ٤٩ - الشحود - علي بن نايف - موسوعة الغزو الفكري والثقافي وأثاره على المسلمين - بدون ناشر وطبعة وتاريخ - ص ٦٨ .
- ٥٠ - سورة يونس - الآية ٧٨ .
- ٥١ - ينظر المسير - د. محمد سيد احمد - الحوار بين الجماعات الاسلامية - الناشر : دار الطباعة المحمدية - ط ١ - (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م) - القاهرة - ص ٤٠ .
- ٥٢ - د : صالح بن بكر الطيار - الإرهاب والمواثيق الدولية المعنية بمكافحة الإرهاب - ص ٣ .